بنية الشخصيات في الخطاب القصصي البوطاجيني

ساكر حسيبة

جامعة العربي التبسي –تبسة – الجزائر

hassibasaker@gmail.com

ملخص:

لقد تبوأت الشخصية الروائية منزلة رفيعة في القرن التاسع عشر؛ حيث بالغ الروائيون في رسم ملامح الشخصية الروائية، فوظفوا كل التقنيات السردية لإبرازها ومنحها الحد الأدنى من الظهور، لكن مع مطلع القرن العشرين حاول الروائيون والنقاد التقليل من سلطتها في الأعمال الروائية، وبناء على ما سبق كيف بنى القاص الجزائري" السعيد بوطاجين "شخصياته السردية في مجموعاته القصصية ":ما حدث لي غدا، وفاة الرجل الميت، اللعنة عليكم جميعا، حذائي وجواربي وأنتم"؟.

الكلمات المفتاحية :بنية، الشخصيات، خطاب، قصصي.

توطئة :التمييز بين الشخص و الشخصيةPersonne/Personnage :

"لقد بقيت الشخصية الصنف الأكثر غموضا في الشعرية .ودون شك، إن قلة اهتمام الكتاب والنقاد اليوم بهذا المفهوم واحد من بين أسباب عديدة لهذا الغموض"

ولعل من أخطر ذلك الغموض هو الجمع بين مفهومين مختلفين؛ هما الشخص (Personne)والشخصية (Personnage)واعتبارهما مفهوما واحدا.

لذلك سنحاول التمييز بينهما فيما يلي:

"فالشخص كائن حي ينتمي لما هو واقعي وحقيقي لا متخيل، له تاريخه وماضيه«، بينما »الشخصية في الرواية تتألف فقط من الجمل التي تصفها، أو التي وضعها المؤلف على لسانها ، وليس لتلك الشخصية ماض أو مستقبل"

لذا يرى "تودوروف (T.Todorov) "أن القراءة الساذجة هي التي تخلط بين الشخصيات والأشخاص الأحياء، وننسى أن مشكل الشخصية هو قبل كل شيء لساني، لأنه لا يوجد خارج الكلمات، ولأنه أيضا كائن ورقي، و سيكون من العبث رفض كل علاقة بين الشخصية والشخص، فالشخصيات تمثل أشخاصا، تبعا لظروف خاصة بالتخييل".

كما أن المبدع لم يعد يتخذ من الأشخاص فقط شخصيات لنصوصه الروائية، بل قد يلتجئ إلى الجمادات والنباتات والحيوانات والأرقام...الخ، ليتخذ منها شخصيات لأعماله، فيزول بذلك هذا الخلط بين مفهومي الشخصية والشخص.

وسنتعرض في الصفحات التالية لأهمية الشخصية في النص الروائي، و كيفية تصنيف النقاد لها.

الشخصية بين الرواية والنقد:

1-1-أهمية الشخصية في النص الروائي:

أ –الشخصية في الرواية التقليدية:

كانت الشخصية في الشعرية الأرسطية تعتبر ثانوية مقارنة بباقي عناصر العمل التخيلي، فهي خاضعة خضوعا تاما للحدث، وقد استمر هذا التصور عند المنظرين الكلاسيكيين الذين يرون الشخصية مجرد اسم يقوم بالحدث.

لكن في القرن التاسع عشر تبوأت الشخصية منزلة رفيعة، ف»**كانت في الرواية التقليدية هي كل شيء بحيث لا يمكن أن نتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها؛ إذ لا يضطرم الصراع العنيف إلا بوجود شخصية، أو شخصيات تتصارع فيما بينها، داخل العمل السردي، من أجل كل ذلك نلفي كثيرا من الروائيين يركزون عبقريتهم وذكائهم على رسم ملامح الشخصية.**«

ويبدو أن هذا الاهتمام المبالغ فيه برسم ملامح الشخصية، يعود سببه حسب "ألان روب قريي "إلى ارتقاء قيمة الفرد في تلك الفترة ورغبته في السيادة، هذا ما دفعهم إلى جعل الشخصية تختزل مميزات الطبقة الاجتماعية، فأصبحت كل العناصر تُوظف لإظهار الشخصية ومنحها الحد الأدنى من البروز.

لذا »**تعامل الشخصية على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيقي؛ فتوصف ملامحها، وقامتها، وملابسها، وسحنتها، وسنها، وأهواؤها، وهواجسها، وآمالها، وآلامها، وسعادتها وشقاوتها.**«

ولعل أبرز من يمثل مرحلة ازدهار الشخصية في الرواية التقليدية، "بلزاك (Balzac) "في الأدب الفرنسي؛ حيث كتب حوالي تسعين رواية تحتوي على أكثر من ألفي شخصية، إضافة لنجيب محفوظ في الأدب العربي، الذي كتب زهاء ثلاثين رواية، فقد جاءت أعمالهما مرآة عاكسة لكل ما يحدث في مجتمعهم.

ب –الشخصية في الرواية الحديثة:

لقد بدأت تتغير الرؤية للشخصية مع مطلع القرن العشرين، فحاول الروائيون والنقاد التقليل من سلطتها في الأعمال الروائية.لذا "**بدأت الشخصية بمفهومها الكلاسيكي، تمحى تدريجيا**«، فغدت بذلك مجرد كائن ورقي بسيط، وها هي »**بعض الاتجاهات الحديثة الأدبية تعطي للشخصية مجددا دورا ثانويا**"

لأن "**ذلك العصر المتوهج، لم يعد قائما؛ ذلك أن الروائيين الجدد حملوا معاولهم وبدأوا يهورون الصروح الجميلة التي كانت الشخصية الروائية تتربع فيها**"، فمنهم من يجعلها إنسانا حيا من الواقع، ومنهم من يشيئها، ومنهم من يتنكر لها تماما مثل توماشفسكي (B. Tomashevsky)، وهناك من يقف موقفا وسطا منها.

ومهما قيل أو يقال عن الشخصية وقيمتها في العمل الروائي، فإنها تشكل »**بؤرة مركزية لا يمكن تجاوزها أو تجاوز مركزيتها، فالرواية هي أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا بالشخصية**«، »**فكل فنان روائي أو غير روائي يحاول أثناء رسم الشخصية أن يحشد عبرها أكبر كمية من القيم والعناصر والملامح النفسية والسلوكية التي تراها منحدرة من الفرد إلى المجتمع لتصبح الشخصية بالتالي نافذة يمكن التطلع منها إلى مساحات واسعة من الواقع الخيالي.**«

2-1-تصنيف النقاد للشخصية:

لقد انشغل النقاد منذ زمن طويل بقضية تصنيف الشخصيات الروائية، فاستخلصوا أول تصنيف شكلي يركز على الدور الذي تلعبه الشخصية داخل العمل الروائي، فقسموها إلى قسمين:

شخصيات رئيسية (principaux)، وشخصيات ثانوية (secondaires), فالشخصية الرئيسية »**هي التي تدور حولها أو بها الأحداث وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى**"، أما الشخصية الثانوية "**فهي التي تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية أو تكون أمينة سرها ,فتبيح لها بالأسرار التي يطلع عليها القارئ.**«

وقد حاول الناقد الإنجليزي "فوستر (Foster) "تجاوز هذا التصنيف ، فصنف الشخصيات حسب درجة تعقيدها و وضوحها داخل النص إلى صنفين :شخصية مدورة (Ronds)و"**هي تلك الشخصية المركبة المعقدة التي لا تستقر على حال، ولا تصطلي لها نار، ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقا ماذا سيؤول إليه أمرها، لأنها متغيرة الأحوال، متبدلة الأطوار؛ فهي في كل موقف على شأن**«،

بينما الشخصية المسطحة » (Plats)**تمضي على حال واحد لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة.**«

كما نعثر على طائفة أخرى تصنف الشخصيات على أساس ثباتها وتغيرها داخل العمل الروائي، فتقسمها إلى شخصيات نامية (dynamiques)وأخرى ثابتة .(statiques)

فالشخصية النامية »**تمتاز بالتغير الدائم داخل السرد**«، في حين تظل الشخصية الثابتة »**ثابتة لا تتغير طوال السرد.**«

وهناك من يصنفها على أساس تأثيرها وتأثرها داخل العمل الروائي، فتكون إما إيجابية (positive)أو سلبية (négative)،فالشخصية الإيجابية »**تكون ذات قدرة على التأثير، كما تكون ذات قابلية للتأثر أيضا**«، أمّا الشخصية السلبية "**فلا تستطيع أن تؤثر كما لا تستطيع أن تتأثر**"

لكن ما نلاحظه على هذه التصنيفات أنها مرادفة لبعضها البعض، ونحن نؤيد في ذلك ما ذهب إليه "عبد المالك مرتاض "فيما يخص مصطلح فوستر (Foster)الشخصية المدورة (Ronds)، الذي هو نفسه الشخصية النامية (dynamiques)والإيجابية (positive)، وأن الشخصية المسطحة (plats)هي نفسها الشخصية الثابتة (statiques) والسلبية .(négative)

كما نلفي "هنري جيمس (H.James) "يصنف الشخصيات من حيث علاقتها بالحبكة إلى صنفين : شخصية خاضعة للحبكة ويسميها بالخيط الرابط (ficelle)، وشخصية تخضع لها الحبكة، فالأولى تقوم بوظيفة داخل الأحداث أما الثانية فتعمل على إبراز الخصائص النفسية للشخصية، فهي متعلقة بالسرد السيكولوجي.

أمّا "فلاديمير بروب *(V.Propp) "في كتابه)مورفولوجيا القصة ,(فقد ركز على الأفعال التي تقوم بها الشخصية في الحكاية، وقلل من أهمية الشخصية، وأوصافها وأخلاقها وطبائعها، لكون هذه العناصر متغيرة في الشخصية، أمّا العناصر الثابتة فهي ما تقوم به الشخصية من دور ، لهذا ربط الشخصية بالدور وبطبيعة هذا الدور، وحصر الشخصية تبعا للدور في سبع هي:

المغتصب (l'agresseur)، والمانح (Donateur)، والمساعد (Adjuvant)، والآمر (Mandateur)، والبطل (l'héros)، وأخيرا البطل المزيف (Faux héros)، ويرى "بروب (V.Propp) "أن كلا من هذه الشخصيات يمكن تعيينها من خلال الدور الذي تقوم به.

لكن "السعيد بنكراد "لم يرق له هذا التصنيف، فيرى أن »**عجز النموذج البروبي في أن يشكل أداة تحليلية فعلية تقود إلى الكشف عن الخبايا الدلالية للنص السردي، يعود في الأساس إلى إهماله للشخصية وأبعادها الثقافية.**«

بينما ينطلق "سوريو (Souriau) "من المسرح ، فيقدم لنا نموذجا يتكون من ست وحدات يطلق عليها اسم "وظائف درامية"، وهي مختلفة نوعا ما عن مفهوم الوظيفة عند "بروب (V.Propp) "، وتتمثل هذه النماذج في : البطل (Protagoniste)، والبطل المضاد (Antagoniste)، والموضوع (Objet)، والمساعد (Adjuvant)، والمرسل (Déstinateur)، والمرسل إليه .(Déstinataire)

في حين أن "غريماس (A.Greimas) "يصنف الشخصيات السردية بحسب ما تعمله، لأن القصة حسب رأيه هي مجموعة أفعال تقوم بها مجموعة من الأشخاص أي العوامل، ويصل عددها عنده إلى ستة هي:

العامل الذات (Actant sujet)، العامل الضديد (Anactant)، العامل الموضوع (Objet)، المرسل (Déstinateur)، المرسل إليه .(Déstinataire) أمّا "فيليب هامون(PH.Hamon) "، فقد صنف الشخصيات الروائية إلى ثلاثة أصناف هي:

1- الشخصيات المرجعية Les personnages Référentiels :

تتضمن شخصيات تاريخية ك)نابليون(، وشخصيات أسطورية ك)فينوس، زوس(، شخصيات مجازية ك)الحب والكراهية(، وشخصيات اجتماعية ك)العامل، الفارس، المحتال(، تُحيل هذه الشخصيات كلها على معنى ثابت تحدده ثقافة ما، وقراءتها مرتبطة بدرجة استيعاب القارئ لهذه الثقافة، واندماج هذه الشخصيات داخل الكبير الذي تمثله الإيديولوجيا أو الثقافة.

2- الشخصيات الإشارية: Les personnages embrayeurs :

إنها دليل على حضور المؤلف أو القارئ أو من ينوب عنهما في النص، ويدخل ضمن هذه الفئة شخصيات ناطقة باسم المؤلف، جوقة التراجيدية القديمة، شخصيات عابرة، رواة، فنانون، رسامون، كتاب...الخ .ويكون من الصعب أحيانا الإمساك بهذه الشخصيات بسبب تدخل بعض العناصر المشوشة أو المُقنَعة التي تأتي لتخل بالفهم المباشر لمعنى هذه الشخصية أو تلك.

3- الشخصيات الاستذكارية)المتكررة: Les personnages anaphoriques):

تنسج هذه الشخصيات داخل الملفوظ شبكة من الاستدعاءات والتذكيرات لمقاطع من الملفوظ منفصلة وذات طول متفاوت، وهذه الشخصيات ذات وظيفة تنظيمية لاحمة أساسا؛ أي أنها علامات مقوية لذاكرة القارئ، كالشخصيات

المبشرة بالخير أو المنذرة بوقوع حادث، يوظفها الكاتب من أجل استحضار فكرة تسهم في تطوير الحدث، أو توضيح رؤية معينة، أو تفسير بعض القضايا الغامضة.

كما يؤكد "فيليب هامون» (PH.Hamon) "**أن أية شخصية بإمكانها أن تنتمي إلى هذه الأنواع الثلاثة في وقت واحد أو بشكل تتابعي**"

وسنصنف فيما يلي الشخصيات البوطاجينية وفقا لنموذج الثنائيات الضدية ، لأن شخصياته تنتمي إلى صنفين متضادين ومتصارعين.

2-إستراتيجية تصنيف الشخصيات البوطاجينية:

إن النصوص القصصية **للسعيد بوطاجين** تعالج إشكالية المستبَد والمستبِد ممثلة في صراع المثقف مع السلطة، فهي نصوص تكاد تكون متماثلة إلى درجة أنها يمكن أن تشكل نصا واحدا على مستوى الشخصيات وعلى مستوى الموضوع المعالج.

لذلك يمكننا النظر إلى هذه النصوص)**ما حدث لي غدا، وفاة الرجل الميت، اللعنة عليكم جميعا، حذائي وجواربي وأنتم** (على أنها تشكل نصا واحدا يعالج قضية القهر والظلم في مجتمعنا وإن اختلفت أساليبه وأشكاله.

لذا ارتأينا أن ننتهج إستراتيجية تعتمد على نموذج الثنائيات الضدية لتصنيف الشخصيات البوطاجينية .فنصنفها إلى صنفين متضادين :شخصيات مقهورة وشخصيات قاهرة.

أ -الشخصيات المقهورة:

هي الشخصيات المثقفة، لأن شخصية المثقف تعد من الشخصيات المركزية في قصص **السعيد بوطاجين**، فلا يكاد نص واحد يخلو من حضور هذه الشخصية المقهورة والمضطهَدة، التي تُطرح في عدائية مع السلطة، لأنها ترفض الحاضر المدنس بالفساد و تسعى جاهدة لمحاربته، لكن السلطة تتصدى لها وتضطهدها.

لذا تحضر شخصية المثقف في معظم الأعمال القصصية **للسعيد بوطاجين** في حالة صدام مع السلطة، فمعركة عبد الله في قصة)**خطيئة عبد الله اليتيم**(، وعبد القفار في قصة)**ما حدث لي غدا** (وعبد الوالو في قصة)**مذكرات الحائط القديم**(، وعبد الرحيم طارق في قصة)**وفاة الرجل الميت**(، وسعيد في قصة)**من فضائح عبد الجيب** (وابن آدم في قصة **37**)**فبراير** (والكاتب في قصة)**أوجاع الفكرة** (ومُحَمَّد في قصة)**الجورب المبلل**(، معركة مع السلطة ممثلة في القاضي والجلادين، والمحققين ، وقارون، والمفسدين وآباء لهب والقذرين.

وبما أننا لسنا بصدد الاستقصاء الكامل لشخصية المثقف المقهور في كل قصص **السعيد بوطاجين** فسنكتفي باستعراض النماذج الآنفة الذكر فيما يلي:

-1شخصية عبد الله:

هي شخصية شجاعة لا تخشى في قول الحق لومة لائم، تستمد شجاعتها من إيمانها بمبادئها. إن عبد الله يكره الفساد والمفسدين، وها هو يعلن عن ذلك بكل جرأة »**أنا رجل هادئ، عدو للقوانين والحكومات والمؤسسات الحاكمة، أشعر باشمئزاز نحو البورجوازية .معجب بحياة القلقين الساخطين**«، فيُحدث هذا الكلام توترا في نفس ممثلي السلطة، فيخافون على مصالحهم منه ,لذا يلجأون إلى قمعه، ف »**انتشار الخوف يؤدي إلى قيام إمبراطورية للقمع**.« من هنا يكون جزاء عبد الله عذابا شديدا على يد جلادين متوحشين، وقاض جاهل يقتنص منه حريته، لأنه دخل بيت صاحبة الرسالة دون استئذان، لكن في حقيقة الأمر صاحبة الرسالة ليست امرأة، بل هي حرية التعبير التي استخدمها عبد الله في التعبير عما لا يروق لهم.

-2شخصية عبد القفار:

إنها شخصية مثقفة خاوية الوفاض، فارغة الجراب، إلا من قلم تمتشقه، وجملة تطرسها لتحارب بها الأورام الخبيثة المنتشرة في أجهزة الدولة، هذا ما يكشفه قول عبد القفار »**ولأني أمقت الاقتصاد والسياسة وعلم الكذب ويسقط ويعيش وما جاورهم، فقد فكرت في عمل ما لتفادي الانتحار وانتهى بي الأمر أن اخترت الإبداع**.« لذا تُصدر الأورام الخبيثة أمرا بكسر شوكته ونزع سلاحه، فيزج به في السجن، عندها يتملكه إحساس باليأس يجعله يفقد الأمل في إمكانية التغلب على هذا الفساد، لأن ما يحدث له اليوم سيحدث له غدا باعتبار أن الظروف التي يعيشها واحدة والمعطيات نفسها.لكن من رحم اليأس يولد أمل تهمس به ذاكرته، فتذكره بما كان يقوله له جده دائما »**لن يقوى القيد على الفكر**«، فينبعث في نفسه الأمل من جديد.

-3شخصية عبد الوالو:

هي شخصية تملؤها الأفكار الصبيانية والشيطانية معا، تصرفاتها كلها منبعها العفوية، لا تزال نقية السريرة، لأنها شخصية طفل كله براءة لم تدنسه بعد الأفكار الخبيثة.

لقد كان عبد الوالو يستمتع بحكايات جدته [الجدة هنا ترمز إلى مذكرة ثقافية تنقل لنا كل الأحداث سواء كانت صحيحة أم خاطئة]عن قارون الذي قتل أخاه هارون، وبمرور الزمن يكبر ذلك الطفل المشاكس، ويتفاجأ باعتلاء قارون المجرم منصب وزير في هذا الزمن الأغبر.

من هنا يقرر عبد الوالو أن يكون عدوا لهذا الوزير المجرم، وفي مقابل ذلك يحاول قارون استمالته لصفه عن طريق أحد الأبواق الناطقة باسمه »**اسمع يا عبد الوالو !وزيرنا المبجل يحترم فيك شجاعتك، وحفاظا على سلامتك وزيرنا يريد مقابلتك علك تفيء وترجع إلى أمرنا.**«

غير أن عبد الوالو شخص متشبع بالمبادئ المعادية لهذا الصنف البشري الذي ينتمي إليه الوزير، فلا يستسلم لهذه المغريات، ويرفض الانصياع لأمر الوزير، فيطرده خارج القرية.

-4شخصية عبد الرحيم طارق:

إن عبد الرحيم طارق شخصية مثقفة، يغمرها حزن شديد على الوضع المزري الذي آلت إليه مدينته، نتيجة تفشي وباء فيها اسمه الفساد ، فيبدأ بالتصدي له ليشكل بذلك خطرا كبيرا على رؤوس الفساد في السلطة.

فتقرر رؤوس الفساد التخلص منه نهائيا، فتجد السلطة بسهولة الكثير من التهم الجاهزة لتلصقها بمن تسول له نفسه أن يقف ضدها، فتتهم عبد الرحيم طارق بانتحال شخصية قيس بن الملوح، والتي هي شخصية ميتة في الأصل» ,**ألا تعرف بأنك قيس بن الملوح؟ فاجأه المحقق** .«وبما أن مبررات القتل متوفرة تُسلب حياة عبد الرحيم طارق بإعدامه »**حفاظا على طقوسنا أمر صاحب الجلالة بقتل قيس بن الملوح الذي تقمص شخصية مغشوشة.**«

-5شخصية سعيد:

إنها شخصية مثقفة تعيش حاضرا فجا تغيرت فيه القيم والمعايير، وانقلبت فيه الموازين رأسا على عقب، تجاهل المثقف وهمشه كأنه وباء فتاك، كما اعتبره شخصا عاجزا لا يمتلك القدرة، أو الوعي اللازم للمشاركة في قافلة التغيير.

ونكتشف هذه الحقيقة المؤسفة من خلال مجيء "ديدان الخبيث "إلى القرية ليطبق الأوامر الصادرة من فوق، والمتمثلة في تحويل مجرى الساقية إلى قصره، ليتمم مشروع المسبح دون أن يستشير أهل القرية، رغم علمه أن حقولهم ترتوي من هذه الساقية، وستموت إن حُول مجراها، لكن أوامر الفوق لا جدال ولا نقاش فيها.

فتبدأ من هنا كراهية سعيد لهذا الواقع المتعفن، فيلعنه آلاف اللعنات معبرا عن ذلك بقوله »**من وقتها أصبحت أعيف هذا الفوق وأتقزز منه، اعتبرته مصنعا للشر، هو المنغمس في إنتاج الوباء والحماقات والعنف كيف يكسب**

ودي؟ كان ذلك الفوق لا يستحق حتى الكراهية لأنه فوق النعوت مجتمعة .وهكذا ناصبت العداء لقوانينه وقراراته«،»وها أنا أكتب القصة لأفضح الشر وأرحل عزيزا كريما .أيها الفوق الكريه إني أعيفك، اللعنة عليك أيها الفوق، اللعنة عليكم جميعا.«

-6شخصية ابن آدم:

هي شخصية تتسم بالبساطة، تعيش في مجتمع متصدع الأعماق يكبر فيه الشرخ يوما بعد يوم .فيكتشف فيه ابن آدم أنه مسجل بتاريخ 37فبراير، وهو تاريخ غير موجود أصلا في التقويم الميلادي، فيؤم مركز الله غالب [البلدية] ليصححه، فيدور حوار بينه وبين الباش قاعد ينتهي بطرده من قبل الباش واقف »**امش من قدامي، صرخ الباش واقف في وجه ابن آدم.«**

فيقرر ابن آدم أن يستنجد بالمعلم ليتوسط له عند الباشوات، كي يحلون له مشكلته العويصة، لكن رغم المساعي التي بذلها المعلم إلا أن ابن آدم بقي مسجلا بتاريخ ميلادي غير موجود في التقويم الميلادي، فيقف حائرا في مشكلته.

فلا غرو من هذا الموقف السلبي لابن آدم، فهذا هو واقع المثقف اليوم »**يقف حائرا بين المطرقة والسندان، فلا هو قادر على إبداء رأي يسهم في حل الأزمة، لأن صوته مقموع وفكره ملعون، ولا هو بعيد عن مقصلة التناحر.«**

-7شخصية الكاتب:

نلتقي في قصة)**أوجاع الفكرة** (بشخصية مثقف لا نعرف عنه سوى أنه كاتب في زمن آثم لا يفهم إلا لغة القمع والقتل لكل من يعلو صوته على صوت السلطة.

إنه حاضر متعفن يتصارع فيه المثقف مع السلطة، وبما أن هذا الصراع غير متكافئ ينتهي في أغلب الأحيان بالتصفية الجسدية، أو المعنوية لهذا المثقف، فتتكاثر بذلك الرؤوس المجزوزة الملقاة على حافة الأرصفة، ولا تُكرم حتى بربع قبر، فها هو »**رأس معلم أراد أن يفهم ما يجري في البلدة .الخطأ خطأه .لم يكتم ما وجب كتمانه .كان يتحدث كثيرا عن الحق والحقيقة فاستحق مكافأة في مقامه«**، »**داسته الأقدام وغار في الطين.«**

هكذا، تنجح السلطة في بث الخوف والهلع في أوساط الناس ,فيستسلمون لهذا الواقع الأليم ,فيرفضون مساندة أي صوت ينادي بالمقاومة.

من هنا يبدأ إحساس هذا الكاتب المثقف بالغربة والوحدة، لأنه لم يجد من يفهمه أو يتبنى أفكاره، فيؤوب إلى بيته ليعيش مأساته الداخلية» -**ذلك أن البنية الداخلية للرواية هي اتجاه البطل إلى ذاته** -«ومن عمق هذه المأساة يقرر

أن يخلق شخصا يفهمه ويؤانسه، فيخاطب فكرته المسماة أحمد علي قائلا» :**يا أحمد علي رأيت في المنام أني جاعل إياك حكيما، سأكتبك الآن فوق هذه الورقة وأشملك بعنايتي، هكذا ستبدأ مغامرتك على عتبات وحل مديد . تفتح عينيك على الدم**» .«**هكذا ستكون شاهدا معي تدون ما استطعت إليه سبيلا، ترسم لون المجزرة.**«

وبالرغم من أن السلطة قد حاولت قتل هذا المثقف معنويا بتضييق الخناق عليه وجعله أسير بيته، إلا أنه يأبى الاستسلام والخنوع، ويصر على النضال، رغم الخطوب المدلهمة والظروف الضارية، هذا ما نكتشفه من قوله» :**قد أعود يوما ما في هيئة رأس مجزوزة تتقاذفه الأرصفة، لكني سأعود.**«

8-شخصية مُحَمَّد:

إنها شخصية مثقفة نجحت السلطة في الإطاحة بها، فقزمت دورها وقتلتها معنويا، لذا »**أحس مُحَمَّد أنه لا يحتاج إلى الحياة ولا الحياة تحتاج إليه .كان الشعور الوحيد الذي يلازمه منذ حزمة سنين أنه ليس أحسن من جورب مبلل يستيقظ كل صباح ويذهب إلى ما يشبه العمل** «، فغدا بذلك شخصا فائضا عن الحاجة لا قيمة له »**ومنذ ذلك الوقت والعابرون يدوسون مُحَمَّدا.**«

نؤكد في الأخير أن مأساة الشخصية البوطاجينية المثقفة، سياسية بالدرجة الأولى، طُرحت في النص البوطاجيني لتترجم حالة المثقف العربي العاجز عن فرض وجوده، ومشاركته في إحداث التغيير، رغم محاولاته العديدة.

ب -الشخصيات القاهرة:

هي شخصيات مات فيها الضمير الإنساني باعت نفسها من أجل المال والمركز، تتخذ منها السلطة أداة للبطش، نستعرض بعض العينات منها فيما يلي:

1-شخصية القاضي:

طُرحت شخصية القاضي في النص البوطاجيني بأبشع صورة؛ إذ عمد الكاتب إلى إبراز حقيقتها المتملقة والانتهازية، فقد عمل القاضي كل ما في وسعه ليصل إلى مبتغاه »**نافق وكذب وانتهز .تحصل على بطاقة سحرية .فخرج إلى الدنيا من ثقب إبرة.**«

كما كشف لنا الكاتب مدى قصورها وجهلها، فهي عاجزة حتى على النطق بكلام واضح المخارج »**ها هي الغشالة أردف القاضي البغهان حاضغ والأدلة كافية على خطيئته البشعة .مثل هذه الأشياء يجب محاغبتها قدغ الإمكان وإلا تفشى الداء فينا .خاشة ونحن نقطع مغحلة خطيغة تتطلب منا بذل المجهودات.**«

لقد أصبح هذا القاضي شخصية يضرب بها المثل في الاستهتار في ممارسة السلطة، فها هو يصادر حرية عبد الله اليتيم بنوع من العبث، »لأن **عبد الله يدخل غؤوش الناش وهم نيام ودون أن يشأل أو يشتأنش، وجب علينا الوقوف ضده، وتطبيق المادة 8من القانون 88الشادغ في عام 888والحكم عليه بتقبيل شلعتك ثمانين مغة.**«

هكذا، تغدو شخصية القاضي رمزا للقهر والقمع بعدما كانت رمزا للعدالة والحق، تحرص على تطبيق أوامر من يتحكم في زمام الأمور، فتجعل القانون سيفا مسلطا على رقاب الشرفاء.

ويبدو لنا أن الكاتب قد نجح من خلال هذه الشخصية في الكشف عن حالة التعفن التي تسود قطاع العدالة.

2-شخصية الجلاد:

تعد شخصية الجلاد الامتداد الطبيعي للشخصية المستبِدة، فهي اليد التي تبطش بها. وفي النص البوطاجيني يسعى الجلادون من أجل إرعاب عبد الله اليتيم، ودفعه إلى الاعتراف إلى أساليب أقل ما يقال عنها قذرة، تترجم الحقد اللاإنساني الذي يحملونه في داخلهم، ويصل بهم إلى حد الرغبة في تدميره، فقد »**وضعوه في كيس وساقوه .وجلدوه ورفسوه، استنزفوه وفي زريبة رموه**«، »**وأطفأوا السجائر في خديه وتلاعبوا بـ...وبـ.**«...

إنهم أشخاص غريبي الأطوار لا نعرف عنهم شيئا سوى حقدهم وغضبهم على الخلق، فقد »**كانوا مثل قطع من الصقيع تجدف بالخلق والنعيم، قدسين شدادا غلاظا سافلين بالفطرة.**«

3-الشخصيات المتواجدة في قاعة المحكمة:

بالإضافة إلى شخصية القاضي والجلاد يطرح النص البوطاجيني شخصيات أخرى متواطئة ومستسلمة للظلم .إنهم الحاضرون في قاعة المحكمة، الذين يساندون القاضي ويقفون إلى جانبه.

لذا نجدهم يرددون عقب نطقه بالحكم على عبد الله عبارة يحيا العدل، التي تدل على »**خمول الضمير الجمعي .وهي صورة لحياة يطبعها العبث .تفتقد لأدنى مقوم حيوي، مقولبة على مقاس من يمثلونها في مجتمع تتقاسمه الأرواح المستبِدة .ضميره الجمعي أكثر قساوة من الحجارة في مجتمع أفراده صم بكم لا يفقهون، صورة تقشعر لها الأبدان لكنها حقيقة أراد أن يعبر عنها القاص بنوع من الكوميديا السوداء.**«

4-شخصية المحقق:

تعد شخصية المحقق امتدادا لشخصية الجلاد، لكن في ثوب جديد وباسم جديد، فتُطرح هذه الشخصية في النص البوطاجيني من خلال التركيز على دورها كأداة فعالة تضغط على المتهم، فتجبره على الاعتراف بالتهم المنسوبة إليه.

ويبدو لنا أن المحقق في قصة)**وفاة الرجل الميت**(، قد انتهج نفس الطريقة مع عبد الرحيم طارق، فها هو يضغط عليه ليعترف بأنه قيس بن الملوح »**كيف عرفت بأنك لست قيس بن الملوح؟، ألا تعرف بأنك قيس بن الملوح؟**.«

لكن يبدو أن هذه الطريقة لم تُجد نفعا مع عبد الرحيم طارق، فيلجأ المحقق إلى أساليب التعذيب، ف »**يصفعه بحذائه الخشن، ثم يلتقطه كحبة زيتون مجففة ويدفعه إلى الزاوية.**«

-5شخصية قارون:

يوظف الكاتب شخصية قارون في قصة)**مذكرات الحائط القديم**(، ليعبر من خلالها عن قمة القهر الذي اشتد لهيبه في زمنه، فيركز على صفات قارون القبيحة التي تشبه صفات قارون الحقيقي الذي كان طاغية متجبرا ومفتريا، رغم النعم التي رزقه الله بها.

فقارون في قصة)**مذكرات الحائط القديم** (شخص مجرم قتل أخاه من أجل سنبلة، ثم ندم بعد ذلك ندما شديدا، فكان يجول في القرية مرددا »**طاب .طاب قتلت خيبي على السنبلة والسنابل كثرت**«، وفجأة تنقلب الموازين وتتغير المعايير في هذا الزمن الأغبر، فيصبح »**قارون وزيرا في زمن البق.**«

-6شخصية ديدان الخبيث:

طُرحت هذه الشخصية في النص البوطاجيني من خلال التركيز على دورها في تهميش شريحة كبيرة من المجتمع، وإبعادها عن مركز السلطة وأخذ القرارات، التي يتفرد بها أشخاص يتحكمون في زمام الأمور، ولا علاقة لهم بالسلطة إلا المنفعة.

فنلاحظ منذ البداية أن جشع "ديدان الخبيث "جعله يكون خائنا، ف »**اختار صف الغزاة فنهب ما نهب وقتل ما قتل**«، وفور رحيلهم من بلده ينضم إلى الفوق المتعفن، فتزداد أنانيته وطمعه.

فيبدأ بالتخطيط مع "الديدانيين الخبثاء "لتدمير القرية، فيشرع في تحويل مجرى الساقية التي ترتوي منها حقول القرية إلى قصره، ليتمم مشروع المسبح، لذا»**بدأت الساقية تشح ومع اللحظات صعدت روحها إلى المسبح.**«

-7الباشوات:

[الباش قاعد والباش واقف والباش هراوة والباش قانون]، إنهم دائرة الفساد التي تسعى دائما لتهميش المثقف للاستئثار بالسلطة.

-8آباء لهب:

هم اليد الدموية للسلطة تستخدمهم لقطع رؤوس المثقفين المعارضين لها، فقد قطعوا »**رأس معلم أراد أن يفهم ما يجري في البلدة .ولم يكتم ما وجب كتمانه** «، إنها شخصيات تترك الخراب والدمار أينما حلت.

9-الشخصيات القذرة:

هي شخصيات جاهلة تستأثر بالسلطة لتنهب أموال الأمة، وتسعى جاهدة لتهميش المثقف والحد من دوره حتى لا ينشر الوعي في صفوف أبناء المجتمع، فيتجنبون بذلك الفضيحة، ويحتفظون بمناصبهم غانمين سالمين.

لهذا »**كان مُحَمَّد ينظر إليهم ولا يقول شيئا، كان يردد في سره :الأنهار الطيبة لا تحقد على الأرواح الصغيرة التي تولد جائعة وتموت جائعة.**«

هكذا أصبح القمع معلما بارزا في حياة هذه الشخصيات، لذا جاءت في النص البوطاجيني معادية للمثقف،فهي لا تغدو أن تكون دمية تحركها السلطة كما تشاء.

وبعد التأمل في خصائص الشخصيات البوطاجينية، يمكننا فرز مجموعة من الثنائيات الضدية التي تعكس لنا رؤية الكاتب لهذه الشخصيات نوضحها من خلال الترسيمة الآتية:

الشخصيات البوطاجينية	الشخصيات المقهورة	**السلطة**
القاضي/الجلادون/الحاضرون	عبد الله اليتيم/عبد القفار	المثقف
في القاعة/المحقق/قارون	عبد الوالو /عبد الرحيم طارق	نجاح السلطة
ديدان الخبيث/الباشوات	سعيد /ابن آدم	في قمع المثقف
آباء لهب/القذرون	الكاتب /مُحَمَّد	وتقزيم دوره

الشخصيات القاهرة	• جاهلة • فاسدة • مستبِدة • سالبة للحرية • قاتلة • مهمِشة • قوية	• مثقفة • نقية • مستبَدة • مسلوبة الحرية • مقتولة • مهمَشة • ضعيفة	فشل المثقف في التغلب على الفساد وبقائه مهمشا

نستنتج بعد استعراض هذين الصنفين من الشخصيات التي وظفها **السعيد بوطاجين** في قصصه ما يلي:

-اقتصاد الكاتب في عدد الشخصيات الموظفة داخل أعماله القصصية، مراعيا في ذلك المعيار الكيفي وليس الكمي، مع تخصيصه دورا إستراتيجيا لكل شخصية مهما كان صغر مساحتها داخل النصوص القصصية.

-عدم إفراط الكاتب في الوصف الفيزيولوجي والسيكولوجي للشخصيات.

-بقاء الشخصيات المثقفة مهمشة رغم محاولاتها العديدة في فرض وجودها.

-نجاح الشخصيات السلطوية في تقزيم دور المثقف.

-انبناء النص البوطاجيني على الصراع بين السلطة والمثقف، إذ ينتهي بانتصار باهر للسلطة وفشل ذريع للمثقف.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

بوطاجين السعيد -1 :ما حدث لي غدا)قصص(، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 2، 2001.

2- وفاة الرجل الميت)قصص(، دار الأمل للنشر والطباعة والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، ط 2، 2005.

3- اللعنة عليكم جمعا)قصص(، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2001.

4- حذائي وجواربي وأنتم)قصص(، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، 2007.

المراجع العربية والمترجمة:

-[5]بارت رولان :التحليل البنيوي للسرد)طرائق تحليل السرد الأدبي(، تر :حسن بحراوي وأخرون، منشورات إتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992.

-6بحراوي حسن :بنية الشكل الروائي)الفضاء، الزمن، الشخصية (المركز الثقافي العربي.

-7بروب فلاديمير :مورفولوجيا القصة، تر :عبد الكريم حسن وسميرة عمو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1996.
-[8]بنكراد سعيد :سميولوجية الشخصية السردية)رواية الشراع و العاصفة لحنا مينا نموذجا(، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.
-[9]بوطاجين السعيد :الاشتغال العاملي)دراسة سيميائية، غدا يوم جديد لابن هدوقة عينة(، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000.
-10بوطيب عبد العالي :مستويات دراسة النص الروائي)مقاربة نظرية(، مطبعة الأمنية، المغرب، ط 3، 1999.
-11تودوروف تزفيتان :الأدب والدلالة ، تر :محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1996.
-12 مفاهيم سردية، تر :عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005.
-13صالح صلاح :سرد الآخر)الأنا والآخر عبر اللغة السردية(، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2003.
-14عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق :مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ، عمان، ط 4، 2008.
-15عزام محمد :شعرية الخطاب السردي إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
-16للمزيد انظر :عودة الله منيع القيسي :نجيب محفوظ تكنيك الشخصيات الرئيسية والثانوية في رواياته، دار البداية، عمان، الأردن، 2010.
-17مرتاض عبد المالك :في نظرية الرواية)بحث في تقنيات السرد (عالم المعرفة، الكويت، 1998.
-18مرزوق هداية :النص والظلال)فعاليات الندوة التكريمية حول الدكتور السعيد بوطاجين(، منشورات المركز الجامعي، خنشلة، 2009.
-19ولعة صالح :عبد الرحمن منيف الرؤية والأداة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009.
-20ويليك رونيه وارين أوستين :نظرية الأدب، تر :محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، 1981.
-21هامون فيليب :سميولوجية الشخصيات الروائية، تر :سعيد بنكراد، الكلام للنشر والتوزيع.

المراجع الأجنبية:

22-Lukacs George : La théorie du roman, ed gontier, paris, 1963.